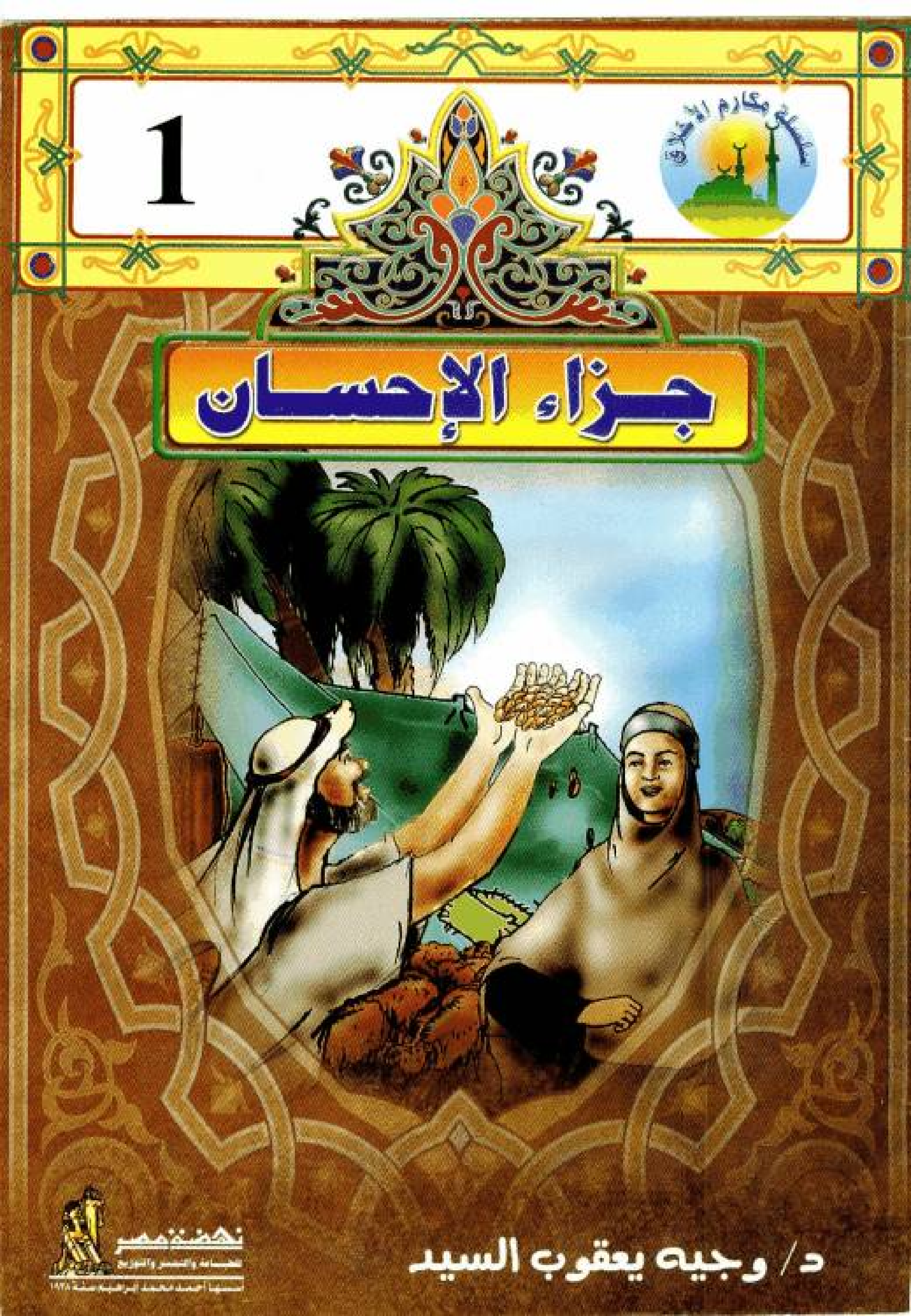


سلسلة مكارم الأخلاق
1
جزاء الإحسان
د/ وجيه يعقوب السيد
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



جَزَاءُ الإِحْسَانِ



قصـــة : **د. وجيه يعقوب السيد**

مدرس بكلية الألسن

رسوم : **منال راشد**

إشراف عام : **داليا محمد إبراهيم**



الترقيم الدولي: 5-1749-14-977 رقم الإيداع: 2002/1696 تاريخ النشر: يناير 2002

الإدارة العامة: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين ص.ب: 21 إمبابة ت: 3466434 - 3472864 فاكس: 02/3462576

المركز الرئيسي: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة 6 أكتوبر ت: 8330287 - 8330289 فاكس: 02/8330296

مركز التوزيع: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة ت: 5909827 - 5908895 - 5898085 فاكس: 02/5903395

فرع الإسكندرية: 408 طريق الحرية - رشدي ت: 5462090(03)

فرع المنصورة: 47 ش عبد السلام عارف ت: 2259675-(050)

www.nahdetmisr.com

publishing@nahdetmisr.com

خَرجَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ وعَبدُاللّٰهِ
ابنُ جعفر إلَى بَيْتِ اللّٰهِ الحَرامِ لأدَاءِ مناسِكِ
الحَجِّ، وبسَبَبِ العَجلَةِ نَسُوا أنْ يَحمِلُوا أمْتِعَتَهُمْ
وَمَا يَحتاجُونَ إليْهِ مِنْ طَعَامٍ وشَرابٍ، وَلَمْ يَكْتشِفُوا
ذَلكَ إلاّ في مُنْتصَفِ الطَّرِيقِ، حِينَ شَعَرُوا بالجُوعِ
والعَطَشِ، وَبَحَثُوا عَنِ الطَّعَامِ
فَلَمْ يَجِدُوه.



عِندَئِذٍ قَالَ الحَسَنُ في دَهْشَةٍ:

العَجلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، لَقَدْ فَاتَنا أنْ نَحمِلَ أمْتِعَتَنا، والطَّرِيقُ إلَى مَكَّةَ ما تَزَالُ طَوِيلَةً.

وَفِي أَسًى قَالَ الحُسَيْنُ:

وَمَا العَمَلُ؟ لا أكَادُ أحتَمِلُ وَطْأةَ الجُوعِ، وَلا يُوجَدُ بِهذِهِ الصَّحْراءِ مَنْ يُقَدِّمُ لنا عَونًا أوْ مُساعَدَةً.

وابْتَسمَ عَبدُ اللّٰهِ بنُ جَعْفر ابْتِسامَةً رَقِيقَةً وَقَالَ:

ضَاقَتْ فَلمّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُها
فُرِجَتْ وَكُنْتُ أظُنُّها لا تُفْرَجُ



وَوَاصَلَ الثَّلاثَةُ سَيْرَهُمْ أَمَلاً فِي
أَنْ يَمُرُّوا بِأَحَدٍ فِي الطَّرِيقِ
وَيَجِدُوا عِنْدَهُ طَعَامًا أَوْ شَرَابًا.

وَبَعْدَ أَنْ قَطَعُوا شَوْطًا طَوِيلاً تَوَقَّفَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَعْفَر، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَاحِيَةَ خِبَاءِ امْرَأَةٍ عَجُوزٍ وَقَالَ:

أَلَمْ أَقُلْ لَكُمَا ؟ أُنْظُرَا. هَذِهِ خَيْمَةٌ وَبِهَا امْرَأَةٌ عَجُوزٌ.

فَقَالَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ:

حَمْدًا لِلَّهِ هَيَّا نَذْهَبْ إِلَيْهَا وَنَسْأَلْهَا عَنْ طَعَامٍ نَسُدُّ بِهِ جُوعَنَا. وَمَا إِنِ اقْتَرَبُوا مِنَ العَجُوزِ، وَتَفَحَّصَتْ وُجُوهَهُمْ، حَتَّى أَحَسَّتْ بِمَا بِهِمْ.



فَسَأَلَتْهُم قَائِلَةً: مَنْ أَنتُم؟

فقَالُوا لهَا: نَحْنُ فِتيَةٌ مِنْ قُرَيْش، نَفِدَ زَادُنا.. فَهلْ نَجِدُ عِنْدَكِ شَرَابًا؟

وَعَلَى الفوْرِ قدَّمَتِ المَرْأَةُ شَاةً كَانَتْ لَدَيْهَا وَقالَتْ لهُم: احْلبُوها واشْرَبُوا لبَنَها، فَحَلبُوهَا وشَرِبُوا لَبَنها، ثُمَّ قَالُوا لهَا:

هَلْ مِنْ طَعَامٍ عِنْدَكِ؟

فَتفكَّرَتِ المَرْأَةُ قَليلاً ثُمَّ قالَتْ لَهُم:

لَيسَ عِنْدِي سِوَى هَذِهِ الشَّاةِ فَلْيَذْبَحْهَا أَحَدُكُم حَتَّى أَذْهَبَ وَأُعِدَّ لَكُم مَا تَأْكُلُونَ. وَعَلَى الفوْرِ قَامَ أَحَدُهُم إِلَى الشَّاةِ فَذَبَحَهَا وأَشْعَلَ نَارًا ثُمَّ أَنْضَجَهَا، ثُمَّ هَيَّأَتِ المَرْأَةُ لَهُمْ طَعَامًا وقَدَّمَتهُ إِلَيْهِم وقَالَتْ فِي رِضا:

هَنِيئًا مَرِيئًا!

وَأخَذَ الثَّلاثَةُ يَأكُلُونَ بِنَهَمٍ حَتّى شَبِعُوا، ولَمّا خَفّتْ حِدّةُ الشّمْسِ، وتَهَيّأوا لِلرّحِيلِ شَكَرُوهَا وقَالُوا لَهَا :

نَحنُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، قَصَدْنا بَيْتَ اللّهِ الحَرامَ، فَإذَا رَجَعْنَا سَالِمِينَ أتَيْنا لِكَى نُكافِئَكِ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِكِ بِنَا.

فَقالَتِ المَرْأةُ :

أعَادَكُمُ اللّهُ سَالِمِينَ، إنّمَا صَنَعْتُ ذَلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضَاةِ اللّهِ، وَمَا عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ وَأبْقَى. وانْطَلَقَ الثّلاثَةُ إلَى سَبِيلِهِم مَصْحُوبِينَ بِدُعَاءِ هَذِهِ المَرْأةِ الطّيبَةِ الّتى جَادَتْ عَلَيْهِم بِكُلّ مَا تَمْلِكُ.



وعِنْدَمَا أقْبَلَ زَوْجُهَا وَلَمْ يَجِدِ الشّاةَ قَالَ لَهَا فِى غَضَبٍ:

أيْنَ الشّاةُ الوَحِيدَةُ الّتى نَمْلِكُها يَا امْرَأةُ؟



فَقالَتْ:

مَرَّ بِي فِتْيَةٌ مِنْ قُرَيْش، بَلَغَ مِنْهُمُ الجُوعُ والظَّمأُ مَبْلَغًا عَظِيمًا فَذَبَحْتُها لَهُم. فَقالَ الرَّجُلُ في غَضَبٍ:

وَيْحكِ يا امرَأة! تَذْبَحِينَ شاتِي لِقَوْمٍ لاَ أَعْرِفُهُم، ثُمَّ تَقُولِينَ: إِنَّهُمْ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ! ما لِي وما لِقُرَيْشٍ؟

فَقالَتِ المَرْأَةُ وَهِيَ تحاوِلُ أَنْ تهدِّئَ زَوْجَها:

يَا رَجُلُ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّم:

«اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»؟

فَهدَأَتْ نَفْسُ الزَّوْجِ وَقالَ:

اللَّهُمَّ أَبْدِلْنا بِها خيْرًا، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّنا لاَ نَمْلِكُ غَيْرَها.





وَمَرَّتِ الأَيَّامُ والشُّهورُ، وَافْتَقَرَتِ المرْأَةُ العَجُوزُ وَزَوْجُها وَلَمْ يَجِدَا مَا يَأْكُلانِهِ، فَاقْتَرَحَتِ المَرْأَةُ عَلى زَوْجِها أَنْ يَذْهَبا إِلَى المَدِينَةِ عَسَى أَنْ يَجِدَا هُناكَ سَعَةً مِنَ الرِّزْقِ وَمَزِيدًا مِنَ الطَّعَامِ.

وَفِي المدينَةِ لَمْ يَجِدِ الزَّوجانِ سِوَى الأَعْمالِ الشَّاقَّةِ والصَّعْبَةِ لِكَي يَحْصُلا عَلَى رِزْقِهِمَا، فَكانا يَحْمِلانِ الحَطَبَ وَيَعِيشَانِ بِثَمَنِه .

وَذَاتَ يَوم، وَبَيْنَما كَانَتِ العَجُوزُ تَمُرُّ بِبَعْضِ سِكَكِ المَدِينَةِ، إِذْ مَرَّتْ بِدَارِ الحَسَنِ بنِ عَلِيّ، وَكَانَ الحَسَنُ وَاقِفًا بِبَابِ دَارِهِ فَعَرَفَها، وَقَالَ لِنَفْسِه: جاءَتْكَ الفُرصَةُ يا حَسَنُ لِكَي تَرُدَّ جَمِيلَ هَذِهِ العَجُوزِ وَتُكَافِئَها عَلَى حُسْنِ صَنِيعِها .



والتفتَ الحَسَنُ إلى غُلامِهِ وقالَ لهُ:
ادْعُ هذِهِ السَّيِّدَةَ، ولا تتركْها حتّى تجيئني بِها.
فأسرعَ الغُلامُ نحوَ السَّيِّدةِ وقالَ لها:
يا سيِّدتي، إنَّ سيِّدي الحَسَنَ يُريدُكِ!
فذهبتْ معهُ إلى الحَسَن، فقالَ لها:
يا أمةَ اللهِ، أتعرفينني؟
فقالتْ: لا يا بُنيّ.
فقالَ الحَسَنُ:
أتذكُرينَ حينَ مررْنا بِكِ وقُلنا لكِ: نحْنُ نفرٌ منْ قُريشٍ، فذبحتِ لنا الشّاةَ.



فَقَالَتِ المرْأةُ وَهِيَ تُمعِنُ النَّظَرَ إلى وَجْهِهِ:
الآنَ تذكَّرْتُكَ يَا وَلَدِي، وَتذكَّرْتُ مَنْ كَانَ مَعَكَ ..
فَقَالَ الحَسَنُ : لَقَدْ كُنّا ضُيُوفًا عَلَيْكِ ، وَالآنَ أَنْتِ ضَيْفَةٌ عَلَيْنا جَمِيعًا.
ثُمَّ اشْتَرَى لَهَا أَلْفَ شَاةٍ وَأَمَرَ لَهَا بِأَلْفِ دِرْهَم، وَقَالَ لِغُلامِهِ :
يَا غُلامُ، اذْهَبْ بِهَذِهِ المَرْأَةِ الطَّيِّبَةِ إِلَى أَخِي الحُسَيْنِ لِكَيْ يُكافِئَها عَلَى قَدْرِ مَا تَجُودُ بِهِ نَفْسُهُ.
فَذَهَبَتِ المَرْأَةُ إِلَى الحُسَيْنِ فَحَيَّاهَا وَأَحْسَنَ اسْتِقْبالَها ثُمَّ سَأَلَها قَائِلاً:
بِكَمْ وَصَلَكِ الحَسَنُ أَخِي يَا خَالَةُ؟
فَقَالَتْ : وَصَلَنِي بِأَلْفِ شَاةٍ وَأَلْفِ دِرْهَم.



فَأَمَرَ غُلَامَهُ أَنْ يَصِلَهَا بِمِثْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُوصِلَهَا إِلَى ابن عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بن جَعْفَر لِكَي يُكَافِئَهَا وَيَصِلَهَا .

واسْتَقْبَلَهَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَعْفَر في حَفَاوَةٍ وَقَرَّبَهَا مِنْهُ ثُمَّ سَأَلَهَا:

بِكَمْ وَصَلَكِ الحَسَنُ والحُسَيْنُ؟

فَقَالَتِ المَرْأَةُ : بِأَلْفَي دِرْهَمٍ وَأَلْفَي شَاةٍ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّه بن جَعْفَر لِخَادِمِهِ: أَعْطُوهَا أَلْفَي دِرْهَم وَأَلْفَي شَاةٍ .

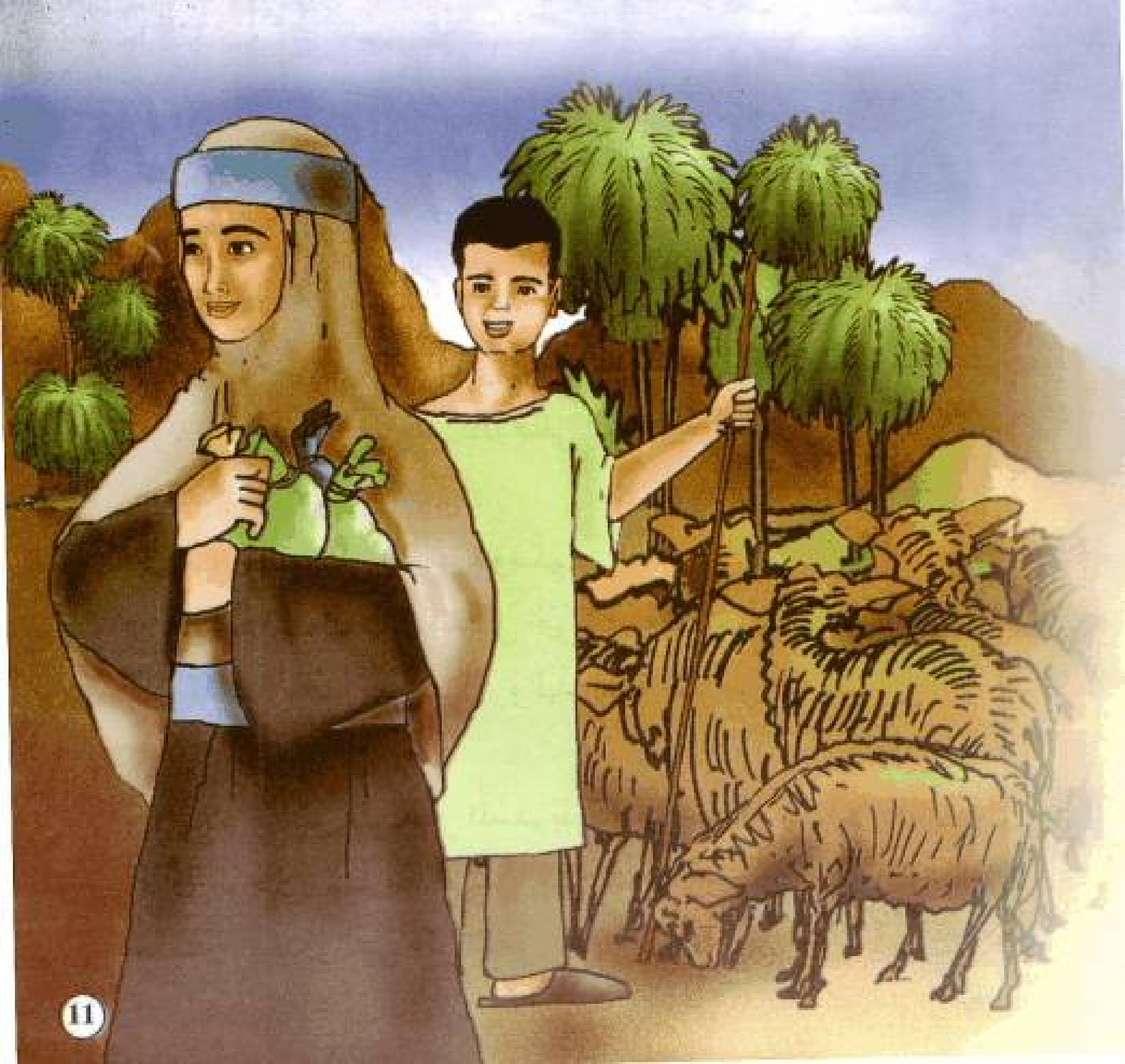
فَأَعْطَاهَا الخَادِمُ مَا أَمَرَهُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَعْفَر، فَعَادَتْ إِلَى زَوْجِهَا بِأَرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ وَأَرْبَعَةِ آلافِ شَاةٍ وَمَا إِنْ رَآهَا حَتَّى سَأَلَهَا فِي دَهْشَةٍ :

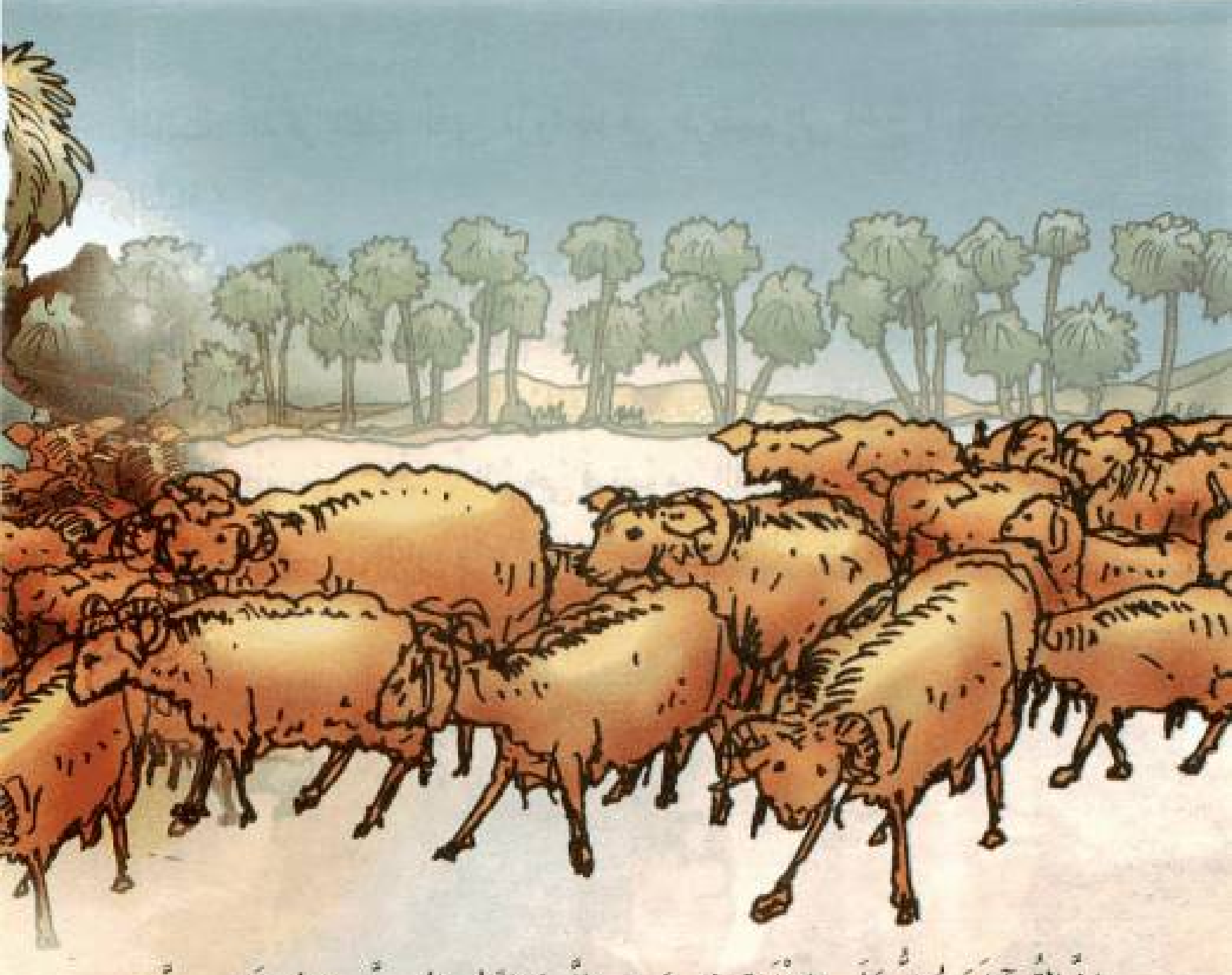
لِمَنْ هَذَا القَطِيعُ ؟ وَمَا هَذَا المَالُ الَّذِي تَحْمِلِينَه؟

فَقَالَتْ: أَتَذْكُرُ الفِتْيَةَ الَّذِينَ مَرُّوا بِنَا فِى طَرِيقِهِمْ إِلَى الحَجِّ فَذَبَحْتُ لَهُمْ الشَّاةَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ أَذْكُرُهُمْ وأَذْكُرُ مَا قُلْتُهُ لَكِ سَاعَتَها.

فَقَالَتْ: لَقَدْ مَرَرْتُ بِهِمُ اليَوْمَ فَعَرَفُونِى وَلَمْ أَعْرِفْهُمْ وَكَافَئُونِى بِمَا تَرَى فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ مِنَ البُكَاءِ وَقَالَ: جَزَاهُمُ اللَّهُ خَيْرًا، حَقًّا إِنَّ السَّخِىَّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّ أَصْلَ المَحَاسِنِ كُلِّها الكَرَمُ وَالجُودُ!





إنَّ القُرآنَ يَحُثُّ عَلَى الإنْفَاقِ في سَبيلِ اللَّهِ وَالرَّسُولُ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يَأمُرُنا بالجُودِ وَالكرَمِ، وقَدْ كَانَ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم جوَّادًا كَرِيمًا وَكَانَ أَجْوَدَ ما يكُونُ في رَمَضَانَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم:

«يَا ابْنَ آدمَ إنك إنْ تبْذُلِ الفَضْلَ خيْرٌ لكَ، وَإنْ تُمسِكْهُ شرٌّ لَك، وَلا تُلامُ عَلَى كفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ العُلْيا خيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى».

(رَوَاهُ مُسْلم)

وَالإسْلامُ حَرِيصٌ عَلَى جَعْلِ المُسْلم يَتحَرَّرُ مِنْ عُبُودِيَّةِ المَالِ؛ لأَنَّ المَالَ يُذِلُّ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ، كما أَنَّهُ حَرِيصٌ عَلَى إشَاعَةِ رُوحِ التَّكَافُلِ والمَوَدَّةِ بيْنَ المُسْلِمِينَ، فَيُغْدِقُ الغَنِيُّ عَلَى الفَقِيرِ.



فَذَاتَ يَوْمٍ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ - قَوْمًا عُراةً، مَلابِسُهُمْ مُمَزَّقَةٌ، فَتغَيَّرَ وجْهُهُ مِنْ شِدَّةِ الغَضَبِ بِسَبَبِ مَا رَآهُ بِهؤُلاءِ مِنْ فَقْرٍ وفَاقَةٍ، فَأمَرَ بِلالَ بن رَبَاح فَأذَّنَ وأقَامَ الصَّلاةَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطبَ فَقَالَ:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

(النساء ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

(الحشر ١٨).

ثمّ قالَ صلّى اللهُ عليْه وسلّم:

«ليَتصدَّقْ رَجُلٌ مِن دِينَارِه، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِن صَاعِ تمرِه. حتّى قَالَ: وَلَوْ بشِقِّ تَمْرةٍ» !

فَتوافَدَ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، حتّى وَضَعُوا الطَّعَامَ والثّيَابَ أمَامَهُ فتهلَّلَ وَجْهُهُ وَأَمَرَ بتَوْزِيعِ ذَلِكَ عَلَى الفُقَرَاءِ، وَقَالَ:

«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِه، مِنْ غَيْرِ أَنْ ينْقصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيء، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا دُونَ أَنْ يُنْقصَ مِنْ أَوْزَارِهِم شَيء».

(رَوَاهُ مُسْلِم).

وَالَّذِي يَتأمَّلُ فِي قِصَّةِ هَذِهِ المَرْأةِ العَجُوزِ وَزَوجِها، يَجِدُ أَنَّ الجُودَ لَيس مَقْصُورًا عَلَى الأغْنِيَاءِ، فَالفقِيرُ يَجُودُ بِمَا يَمْلِكُ، وَالغَنِيُّ يجُودُ عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ، وَقَدْ تَسابَقَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ جَعْفَر فِي الجودِ وَالكَرَمِ طَمَعًا فِي رِضْوَانِ اللَّهِ.





وَالإِنْسَانُ الجَوَادُ الكَرِيمُ مَحْبُوبٌ مِنَ اللّٰهِ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ جُودًا، خَصَّهُ اللّٰهُ بِالثَّوَابِ وَالعَطَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَسِيرُ فِي الصَّحْرَاءِ، فَنَظَرَ إِلَى سَحَابَةٍ فِي السَّمَاءِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي تِلْكَ السَّحَابَةِ يَقُولُ:

اسْقِ حَدِيْقَةَ فُلانٍ !

فَتَجَمَّعَ المَطَرُ حَتَّى نَزَلَ فِي حَدِيقَةِ رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ وَتَجَمَّعَ فِي قَنَاةٍ بِتِلْكَ الحَدِيْقَةِ، وَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَسِيرُ بِالصَّحْرَاءِ وَقَالَ لِنَفْسِهِ:

يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ حَقِيقَةَ الأَمْرِ، لِمَاذَا يَهْطُلُ المَطَرُ وَيَتَجَمَّعُ حَتَّى يَنْزِلَ فِي حَدِيْقَةِ هَذَا الرَّجُلِ بِالذَّاتِ فَضْلاً عَنِ النَّاسِ جَمِيعًا؟

فَذَهَبَ هَذَا الرَّجُلُ مُسْرِعًا إِلَى صَاحِبِ الحَدِيقَةِ فَرَآهُ قَائِمًا يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَسَأَلَهُ فِي دَهْشَةٍ:

مَا اسْمُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟

فَأَخْبَرَهُ صَاحِبُ الحَدِيقَةِ بِاسْمِهِ وَقَالَ لَهُ :

لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ:

إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ يَقُولُ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، وَيَذْكُركَ بِالاسْمِ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، وَلِمَ اخْتَصَّكَ اللَّهُ بِذَلِكَ ؟

فَقَالَ صَاحِبُ الحَدِيقَةِ :

أَمَا إِذَا قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا الثُّلُثَ الأَخِيرَ.

وَهَذِهِ القِصَّةُ بِتَمَامِهَا رَوَاهَا لَنَا الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ الإِمَامُ مُسْلِم، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَجُودُ وَيَتَفَضَّلُ بِالإِنْعَامِ عَلَى الإِنْسَانِ الجَوَّادِ الكَرِيمِ.

